ظاهرة الفهود السود في اسرائيل : اسبابها واصولها

عبد الحفيظ محارب

برزت عند منتصف شهر يناير من هذا العام في الساحة الاسرائيلية حركة تحمل اسم الفهود السود في اسرائيل ، ولدت وسط الاحياء الفقيرة في مدينة القدس ، ثم ترعرعت وكبرت وامتد تأثيرها الى كافة الاحياء الفقيرة في مدن اسرائيل وقراها ، واحدثت ضجة على المستويين الرسمي والشعبي اكثر مما احدثته اية حركة سياسية في اسرائيل منذ تأسيسها ، كما جعلت الكثيرين يتخوفون من نشوب « حرب اهلية في اسرائيل » ومن احتمالات « خراب الهيكل الثالث » ! وسواء كان هذا التخوف في محله ام قيل لاغراض سياسية بقصد ابعاد الجماهير الاسرائيلية عن هذه الحركة ، فان ظاهرة الفهود السود هي في الحقيقة ردة فعل للتمييز العنصري الذي يمارس في اسرائيل ضد ابناء الطوائف الشرقية التي تشكل اكثر من نصف سكان اسرائيل(١) .

لكي ندرك اهداف حركة الفهود السود والعوامل التي تقف وراء ظهورها ينبغي علينا الوقوف قليلا حول التكوين الطبقي الطائفي الذي يتسم به المجتمع الاسرائيلي : يتشكل المجتمع الاسرائيلي كمعظم المجتمعات الاخرى من طبقات برجوازية وعمالية وفلاحية الا انه يختلف عن معظم المجتمعات بالتناقضات القائمة بين الطوائف وخاصة بين الطائفة الاشكنازية (يهود روسيا والدول الغربية) والطوائف الشرقية (يهود اسيا وافريقيا — اكثريتهم الساحقة من العالم العربي) . فالطائفة الاشكنازية تشكل الطبقة الفوقية في المجتمع الاسرائيلي، ويحتل ابناؤها المراكز العليا في الدولة ويشكلون الطبقة البرجوازية، واصحاب الياقات البيضاء بين أوساط العمال . أما ابناء الطوائف الشرقية فيشكلون السواد الاعظم من الطبقة العمالية ، ولا يشغلون مراكز عليا تذكر في الدولة ومؤسساتها، وتقتصر نسبة الوظائف الحكومية الكبيرة التي يشغلونها على ٣ ٪ فقط . وبالرغم من ان اليهود الشرقيين يشكلون اكثر من نصف السكان اليهود في اسرائيل ، نجد ان كافة زعماء الاحزاب الاسرائيلية الممثلة في الكنيست الاسرائيلية بدون استثناء ، ابتداء من الحزب الشيوعي بجناحيه ومرورا بالاحزاب العمالية والدينية وانتهاء بالاحزاب اليمينية هم من ابناء الطائفة الاشكنازية ، فضلا عن أن نسبة النواب من اليهود الشرقيين في الكنيست لا تتناسب مطلقا مع عددهم اذ تشكل حوالي ٢٠ ٪ من مجموع الاعضاء . كما أن تمثيلهم في الحكومة يقتصر كما جرت العادة على حقيبة واحدة غدت حقيبة دائمة وهي وزارة الشرطة التي يندر وجودها في سائر حكومات العالم . وكذلك يقال بالنسبة لتمثيلهم في المؤسستين الكبيرتين الاخريين في اسرائيل ، الهستدروت والوكالة اليهودية . فهاتان المؤسستان ، وخاصة الثانية ، تعتبران حكرا على ابناء الطائفة الاشكنازية . اما قيادة هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي فانها تخلو من أي يهودي من أصل شرقي وتقتصر